

الأساس فهي الطب النفسي الافتراضات الأساسية: الفصل الخامس:

ملف اضطرابات الإرادة (16)

الإرادة والإبداع

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD06415.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/04/06

السنة الثامنة - العدد: 2775



إذا كانت الإرادة بكل هذا العمق والتعدد بل والغموض، وكانت الحرية مرتبطة بها أشد الارتباط وأبلغه، فما هي علاقتها بالثقافة وبالإبداع كما تساءلنا في نشرة أمس؟

إن التقابل بين إرادة الحياة وإرادة البشر بدأ تحدياً مهماً قد يسهم في إنارة بعض جوانب المسألة.



هل عملية الإبداع هي عملية إرادية مثل عملية اتخاذ القرار، أم أن له قواعد أخرى إذ هو يرتبط بمستويات أخرى من الإرادة بأى معنى من المعاني التي سبقت الإشارة إليها، أو غيرها

يبدو أن إرادة الإبداع هي أقرب إلى إرادة الحياة من إرادة البشر (1).

حين أصبح الإنسان واعياً بذاته استطاع أن يميز بين ما هو "ذات"، وما هو "لا-ذات"، ومع بزوغ الوعي بالذات أصبح الكائن البشرى يمارس حياته فارقاً بين ما هو "أنا" وما هو ليس "أنا"، ثم ينقسم الـ "ما ليس أنا" إلى: "موضوع بشري" (نسميه "الأخر" عادة)، ثم إلى "الطبيعة" الآتية: عبوراً إلى امتداداتها التصعيدية المفتوحة النهاية.

الكائنات قبل البشر حققت إبداعها على مسار التطور بطفرات تتسلخ بها إلى أعلى، واقع الأمر أن قوانين التطور كما سخرها الله هي التي حققت هذا الإبداع، علماً بأن إبداع الطبيعة لما هو إنسان قد تم بشكل انتقائي لبعض هؤلاء الجدود دون غيرها، فهذه الأحياء التي نزع منها أجدانها هي ليست كذلك تماماً، والأولى أن نعتبرها أولاد عمومة لا أكثر.

برامج البقاء هي التي أبدعت - بفضل الحق سبحانه وتعالى - ما هو نحن، دون حاجة إلى غرور الإرادة البشرية والمبالغة في أوهم التفوق الملتبسة، وقد هيأت هذه النقلة لهذا الكائن الجديد مساحة غير مسبوقه من الحركة المتنوعة التي عرفت في ظاهر السلوك باسم "الحرية"، ومن فرط فرحته بها، وأيضا من فرط عماه عن حدودها وخذاعها، راح يتعنى بما تصور أنها تعنيه حتى قدسها، وإذ تقدست أصبحت وهما أيديولوجيا جديدا (صنما)، الحرية الحقيقية لا تتفق مع التقديس، حتى تقديس ذاتها، هذا الوهم الجميل المسمى "الحرية"، أوقع الإنسان في عدد من المضاعفات، بقدر ما أعطاه قدراً متزايداً من الفرص.

الإنسان هو الكائن الوحيد - في حدود ما نعرف - الذي أصبح قادراً أن يقرر لنفسه بنفسه مساراً

هل عملية الإبداع هي عملية إرادية مثل عملية اتخاذ القرار، أم أن له قواعد أخرى إذ هو يرتبط بمستويات أخرى من الإرادة

يبدو أن إرادة الإبداع هي أقرب إلى إرادة الحياة من إرادة البشر

حين أصبح الإنسان واعياً بذاته استطاع أن يميز بين ما هو "ذات"، وما هو "لا-ذات"

الكائنات قبل البشر حققت إبداعها على مسار التطور بطفرات تتسلخ بها إلى أعلى

أن قوانين التطور كما سخرها الله هي التي حققت هذا الإبداع. علماً بأن إبداع الطبيعة لما هو إنسان قد تم بشكل انتقائي لبعض هؤلاء الجدود دون غيرها

وتوجها واختيارا، بفعل ما نسميه "عقلا"، ومن خلال ما نسميه "إرادة"، راحت هذه الآلية تختزل التاريخ الحيوى، ثم الكيان الحيوى إلى ما يدخل فى اختصاصها، وكان هذا من أكبر الأخطاء التى وقع فيها البشر، أيضا راح هذا العقل نفسه يختزل الغريزة الإيمانية (الحنين الفطرى إلى العودة إلى الكون الأعظم والكدح نحو الأصل) إلى ما هو دين موضوع، وهو غير الإيمان الملهم والملهم.

من كل ذلك نخلص إلى مواجهة المأزق البشرى المعاصر، وهو أن الإبداع ليس فى الأساس فعلا إراديا، فلا يوجد أحد، مهما كان مبدعا، يذهب إلى معمله أو أوراقه أو فرشاته ويقول "تويت الإبداع" وهات يا مخاطرة، وهات يا تفكيك ثم هات يا تشكيل، ومع ذلك فالإبداع هو أعمق وأخطر عملية إردية بشكل أو بآخر.

يبدو أن الإبداع عند الإنسان قد تجاوز الخطوة التطورية التى لا تعلن وجودها إلا بحدوث الطفرة، ومع تطور علاقة الكائن البشرى بالزمن، استطاع وهو يلم بما يجرى، وبحسب ما يهدده، ويحسد ما ينتظره، استطاع أن يمارس إعادة تشكيل المعلومات وأن يصيغها خارجه بالأدوات المتاحة، وأن يخطط لخطواته القادمة بقدر أكبر من المسئولية، مادام قد أخذ هذه الفرصة لاستعمال ما يسمى إرادة، ومادام قد استطاع التحرك فى تلك المساحة التى تسمى حرية، فقد نجح الإبداع فى رسم إعادة تخليق الحياة، ناتجا معلنا خارجه، وأيضا فى الإسهام فى إعادة تخليق ذاته مع كل أزمة نمو، بل مع كل نبضة إيقاع، الإبداع حين يظهر فى ناتج جديد خارج المبدع هو إعلان عن عجز مرحلى عن تحقيق الإبداع الإصل، إبداع الحياة: حالا، وهذا الناتج يقوم بمهمتين أساسيتين: الإنذار المبكر، والتشكيل الواعد لما هو قادم.

من هنا يمكن القول أن الإرادة هى متضمنة فى العملية الإبداعية، لكنها لا تقودها، ولا هى على درجة كافية من الوعى للتأثير عليها، لتظل العملية الإبداعية موجهة بإرادة تراكمية فعالة لا أكثر.

شروط العملية الإبداعية:

فيما يلى بعض شروط عملية الإبداع دون تفاصيل (12)

- 1- مساحة كافية لاستيعاب حركية الجدل.
- 2- تنشيط لأكثر من مستوى من الوعى "معا".
- 3- القبول بدرجة من المخاطرة.
- 4- حركية مناسبة ذات توجه تشكيلى ضام .
- 5- قدرة على مواكبة الإيقاع الحيوى للتناوب بين طورى الاستيعاب والتشكيل

مقومات نجاح حركية الإبداع فيما يتعلق بانجازه (خارج الذات):

- 1- أبجدية كافية وقادرة (قدر كاف من الموضوعات، المعلومات، المعارف، الخبرات).
- 2- محيط من السماح ممتد من العملية الإبداعية حتى إعلان ناتجها.

هذه الأحياء التى نزع منها أجدادنا هى ليست كذلك تماما، والأولى أن نعتبرها أولاد عمومة لا أكثر

الحرية الحقيقية لا تتفق مع التقديس، حتى تقديس ذاتها، هذا الوهم الجميل المسمى "الحرية"، أوقع الإنسان فى عدد من المضاعفات، بقدر ما أعطاه قدرا متزايدا من الفرص.

الإنسان هو الكائن الوحيد - فى حدود ما نعرفه - الذى أصبح قادرا أن يقرر لنفسه بنفسه مسارا وتوجها واختيارا، بفعل ما نسميه "عقلا"، ومن خلال ما نسميه "إرادة"

أن الإبداع ليس فى الأساس فعلا إراديا، فلا يوجد أحد، مهما كان مبدعا، يذهب إلى معمله أو أوراقه أو فرشاته ويقول "تويت الإبداع"

هات يا مخاطرة، وهات يا تفكيك ثم هات يا تشكيل، ومع ذلك فالإبداع هو أعمق وأخطر عملية إردية بشكل أو بآخر

يبدو أن الإبداع عند الإنسان قد تجاوز الخطوة التطورية التى لا تعلن وجودها إلا بحدوث الطفرة

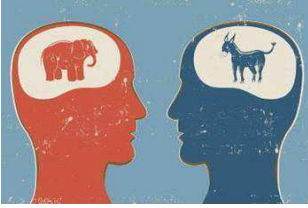
3- أداة (أو أدوات) للأداء (التعبير/ التفعيل/ الإخراج، إلخ...).

4- فرص مناسبة لاستعمال هذه الأدوات، وفرص لإعلان نتائج استعمالها.

5- إمكانية توصيلها لأصحابها، وإمكانية الحوار حولها لمراجعتها (وخاصة بما يسمى "النقد").

وهكذا يصبح الإبداع من أعقد وأهم العمليات الحياتية التي تحتاج كل مستويات الوعي (أنواع العقول) مع تجنب اختزالها إلى ناتج معين، وأيضا مع تحمل مسئولية ضبط جرعته وتوجيه أسهمها، وكل هذا يحتاج إلى إرادة ممتدة موجّهة مثابرة دون إعلان.

كسر الجمود وهز الأيديولوجيا:



فيما يتعلق بما هو إبداع الذات باستمرار من خلال نجاح الإيقاع الحيوى فى أداء مهمته فإن ذلك يحدث تلقائيا بدرجة أقل من الإرادة الظاهرة، لكن تكمن وراءه إرادة الحياة [3]، لكن فى كثير من الأحيان (الآن: فى معظم الأحيان) تحدث الإعاقة كما بينا فى نشرة سابقة [4]،

والإنسان لا يستسلم لذلك عادة فهو يحاول دائما أن يكسر الجمود الجاثم وأن يحرك السكون الخامد حتى يكسر توقف النمو ويطلق قدرات التطور التى تعيقه والتى من أهمها - برغم البريق والشيوع - ما يسمى: الأيديولوجيا.

حاجز الأيديولوجيا:

ظهرت الأيديولوجيا لترسيخ بعض معالم منظومات فكرية بدت صحيحة ومفيدة، لكنها تضخمت حتى تمكنت من تصنيع غرائز مكتسبه **مانعة للحرية**، **مجهضة للإرادة**، إذ هى تساير عادة ما يغلب عند القطيع البشرى من معتقدات فى وقت بذاته، ومن ذلك مما شاع حاليا وزاد:

- منظومة "العقل الواحد" (المنطقى غالبا) على حساب العقول الأخرى ومن بينها العقل الوجدانى، والعقل الكلى الإيمانى
- ومنظومة العلم، (المؤسسى، الباهظ التكلفة) على حساب كل مناهج وقنوات المعرفة الأخرى،
- ومنظومة الديمقراطية المكتوبة، والمعلنة، والمؤسسية، والإعلامية، والتنافسية على حساب الحرية.
- ومنظومة تفسير النصوص الدينية معجما ونقلًا على حساب حركية الإيمان وإبداعه
- ومنظومة الطب السلطوى (المالى) التقليدي...على حساب كل وسائل دعم الهارمونى الذى يمكن أن يساهم فى تدعيم تناغم دوائر البشر مع دوائر المحيط مع دوائر الكون.

إن تفكيك كل هذه المنظومات يحتاج إلى إرادة قوية، ليس فقط لمواجهة الآثار السلبية للجمود أو التصلب، وإنما لتحطيم الأسوار وتكسير القيود، لاطلاق حركية الإبداع.

ما دام قد أخذ هذه الفرصة لاستعمال ما يسمى إرادة، وما دام قد استطاع التحرك فى تلك المساحة التى تسمى حرية، فقد نجح الإبداع فى رسم إعادة تخليق الحياة، ناتجا معلنا خارجه

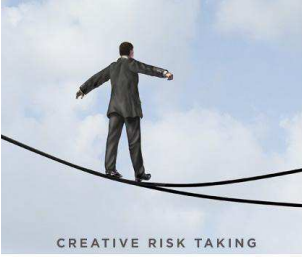
أن الإرادة هى متضمّنة فى العملية الإبداعية، لكنها لا تفوقها، ولا هى على درجة كافية من الوعي للتأثير عليها، لتظل العملية الإبداعية موجّهة بإرادة تراكمية فعّالة لا أكثر

الإبداع من أعقد وأهم العمليات الحياتية التى تحتاج كل مستويات الوعي (أنواع العقول) مع تجنب اختزالها إلى ناتج معين

ظهرت الأيديولوجيا لترسيخ بعض معالم منظومات فكرية بدت صحيحة ومفيدة، لكنها تضخمت حتى تمكنت من تصنيع غرائز مكتسبه مانعة للحرية، مجهزة للإرادة

إن تفكيك كل هذه المنظومات يحتاج إلى إرادة قوية، ليس فقط لمواجهة الآثار السلبية للجمود أو

الإبداع مخاطرة جسيمة:



لمواصلة حركية الإبداع لابد من القبول بدرجة من المخاطرة لأن الإبداع هو خطوة إلى مجهول، فالمبدع عرضة دائما أن يجد نفسه في طريق لم يقصده، سائرا إلى مآل لا يعرفه، ولا يقتصر الخطر على اختلاف المسار عن المخطط المبدئي، ولا على انتهاء المآل إلى هدف جديد غريب لم يقصد إليه ابتداء، وإنما يتمثل أكثر في احتمال "إجهاض العملية" الإبداعية، هذا الإجهاض، فضلا عما يحمل من إحباط، هو خطوة خطيرة في ذاتها، إذ منها قد يبدأ مزيد من التفكير والتعدد غير المتبادل أو المتبادل الذي قد ينتهي إلى التفسخ، ولا يوجد مبدع - لحظة الإبداع- مهما تماسكت شخصيته، وترسخت قواعده، إلا وهو يخاطر بما لا يعرف، فيما لا يعرف بشكل كامل على الأقل.

ويعد

ما مدى تناسب هذه الفروض مع ثقافتنا الخاصة من واقع الممارسة؟
أمل أن نبحت ذلك غداً.

التصليح، وإنما لتعطيه الأسوار
وتفسير القيود، لاطلاق
حركية الإبداع

المبدع عرضة دائما أن يجد
نفسه في طريق لم يقصده،
سائرا إلى مآل لا يعرفه

لا يوجد مبدع - لحظة
الإبداع- مهما تماسكت
شخصيته، وترسخت قواعده،
إلا وهو يخاطر بما لا يعرفه،
فيما لا يعرفه بشكل كامل
على الأقل

[1]- أنظر نشرة 29-3-2015 "إرادة الحياة وإرادة البشر".

[2]- من يشاء أن يرجع للتفاصيل يمكنه الذهاب بهذا الرابط إلى مقال ظهر في مجلة وجهات نظر، عدد نوفمبر 1993، بعنوان: "تعليم تلقيني.. وسلطات قامعة عن الحرية والإبداع والقهر الداخلي".

[3]- نشرة 29-3-2015 "إرادة الحياة وإرادة البشر".

[4]- نشرة 5-4-2015: "ترجيح إرادة تضخيم الذات على حساب إرادة الحياة، مثال: اضطرابات الشخصية".

*** **

شبكة العالم النفسي العربية

دعوة للمساهمة في التعريف بهذا المشروع العلمني الأكايمي

نأمل من الاساتذة الكرام التعريف بالشبكة في مؤسساتهم الجامعية و الاستشفائية

من خلال توزيع " اللوحة الاشهارية " التالية او ادراجها ضمن معلقات مؤسساتهم العلمية او الاستشفائية



www.arabpsynet.com/Documents/PubAPN.pdf